

الحرف المقفى

يا مرفاً في المطر
أفتح لنا، أبوابك المغلقه
أفتح لنا في المطر
درباً الى جزر بلا عنوان
اسوارها نسيان
جزر لها اشجان
يرسو لديها القمر
ما مر فيها البشر

عاد السنونو متعباً .. متعباً
طوف في ارض بلا حدود
الناس فيها ياكلون الورود
ويشربون المطر
ويرتدون الشجر

وانت يا قلبي
ما زرت يوماً كوكبا مهجور
ولم تذق طعم الندى والزهور
وما رايت الارض كالنجمه
تدور في القمه
وما رايت القمر المكسور
ملقى، على شواطئ الظلمه

يا سفناً مثقلةً بالعاج
يا سفناً ترحل
مري على مرفاً
قنديله مطفاً
هناك قلبي مهمل .. مهمل
ملقى على الرمل، وريش السمور
وذابلات الزهور
يحلم في ارض بلا حدود
دفع الشموس الخضر، من دفتها
الحزن فيها، والهوى الاول
وشهقة العطر، وهمس الورود
يا سفناً ترحل
هناك قلبي مهمل .. مهمل
ينتظر المد الذي لا يعود

حسب الشيخ جعفر

موسكو

جاهزة اعيدت صياغتها . فهنا - ايضاً - يحتفظ الكاتب بقدر معين من الاستقلال ، فهو يستطيع ان يعبر عن نفسه في اختيار المادة ، وفي التغييرات التي تطرأ على المادة المختارة ، وهي غالباً ما تكون تغييرات لها اعتبارها - وهذه المادة غالباً ما تكون - مهما بعد المدى الذي تبلغه - مشتقة من بيت كنوز الخرافات والاساطير والحكايات الخرافية القديمة . ودراسة مبدعات سيكولوجيا الاجناس هذه ليست كاملة باي حال ، لكن يبدو من المحتمل الى اقصى حد ان الاساطير ، مثلاً ، بقايا محرفة لتخيلات رغبات امم باسرها - هما احلام صبا الانسانية المديدة العمر .

ستقول انني - رغم ان الكتاب جاءوا اولاً في عنوان هذا المقال - اخبرتك عنهم اقل مما اخبرتك عن التخيل . وانا اعرف ذلك ، وسأحاول ان اتخيل لنفسى عذراً بالإشارة الى الحالة الراهنة لمعرفتنا ، ولا نستطيع الا ان القي بعيداً بالاقتراحات ، وان اثر نقاطاً معينة تنشأ عن دراسة التخيلات ، وتمضي وراء هذه التخيلات الى مشكلة اختيار المادة الادبية . ونحن لم نلمس المشكلة الاخرى على الاطلاق ، واعني مشكلة ما هي الوسائل التي يستخدمها الكتاب ليحدثوا فينا ردود الافعال الانفعالية هذه ، التي تثيرها اعمالهم ، لكن قد ابين لك على الاقل الطريق الذي يؤدي من مناقشة احلام اليقظة الى مشكلات الاثر الذي تحدثه فينا الاعمال الخيالية .

لعلك تذكر اننا قلنا ان الشخص الذي تراوده احلام اليقظة يخفي تخيلاته تماماً عن الناس الاخرين لان لديه سبباً يجعله خجلاً منها . ويمكنني ان اضيف الان انه حتى لو كان لا بد له ان يوصلها اليها ، فانه لن يعطينا اي شعور باللذة بما سيكشفه لنا . فحينما نسمع مثل هذه التخيلات تتفرنا ، او هي على الاقل تتركنا في جمود . لكن حين يقدم انسان ذو موهبة ادبية مسرحياته ، او حينما يربط ما نعتبره احلام يقظة الخاصة ، فاننا نتمتع بلذة كبيرة ربما تكون نابعة من مصادر كثيرة . اما كيف ينجز الكاتب هذا ، فذلك هو سره الداخلي ، ويكمن فن الشعر الجوهري في الوسيلة التي بها يقهر احساسنا بالاشمئزاز ، ولا بد ان يتم هذا بالتأكيد بالنسبة للحواجز التي تقوم بين كل كائن فردي وجميع الكائنات الاخرى . ويمكننا ان نحرس منهجين يستخدم كل منهما في هذه الوسيلة . ان الكاتب يخفف من الطابع الاناني للحلم بما يحدثه فيه من تغيير واخفاء ، وهو يرشوناً بما يقدمه لنا من لذة شكلية بحتة ، اعني جمالية ، في تمثل تخيلاته ، واللذة الزائدة التي تقدم لنا حتى نحقق كذلك لذة اكبر نافعة ، من مصادر اعماق في الذهن ، تسمى « مكافأة حافزة » ، او بتعبير فني « لذة سابقة » . وانا مع الراي القائل بان كل انواع اللذة الجمالية التي نحصلها من اعمال الكتاب الخياليين هي من نفس نوع هذه اللذة السابقة ، وبيان المتعة الحقيقية من الادب تنشأ عن حل التوترات التي تعانها اذهاننا ، وربما تكون من العوامل الكثيرة التي تؤدي الى هذه النتيجة حيث يضعنا الكاتب في وضع نستطيع فيه ان نتمتع باحلام يقظتنا دونما لوم او خجل . وهنا نصل الى طريق يؤدي الى الرواية ، والى الابحاث الهامة المعقدة ، ولكننا - ايضاً - نصل على الاقل في الوقت الحاضر ، الى نهاية هذه المناقشة .

ترجمة سمير كرم

القاهرة